اجتهادات
ثنائية أزمة العقل

المنطقة العربية هى أكثر مناطق العالم اضطراباً اليوم. وهذا واضح يراه المرء بالعين المجردة، ولا يحتاج إلى مناقشة أو مقارنة. ولكن الأهم من ذلك هو ما تنفرد به هذه المنطقة فى عالم اليوم، وهو تفاقم أزمة العقل العام فيها وشيوع الخرافة فى السياسة والفكر، وليس فقط فى المجتمع والحياة.

وهذا فضلاً عن ثنائية هذه الأزمة التى يرتبط تفاقمها بما يبدو سباقاً للعودة إلى الوراء بين عقل «دينى» مغلق يجهل الدين وتنعدم صلته بالمعرفة، وعقل «وطنى» مهووس لا يعرف معنى كلمة الوطن التى تتردد طول الوقت بطريقة «ببغاوية» وفى صورة صراخ وزعيق وضجيج.

والقاسم المشترك بين العقلين المُغيبين هو تعطل الوظيفة الأساسية لأى عقل طبيعى، وهى التفكير والربط بين الأحداث والأوضاع بطريقة منطقية، ورفض الآخر أى آخر - وتكفيره أو تخوينه، والعجز عن إدراك ما يحدث واستسهال البحث عن مؤامرة بدلاً من السعى إلى تفسير عقلانى.

ومازال العقل «الدينى» المغلق متصدراً السباق، رغم أن نظيره «الوطنى» يقترب منه. وكان آخر تجليات أزمة العقل «الدينى» هذا العودة إلى فكرة مركزية الأرض الخرافية التى ظلت شائعة حتى القرن الخامس عشر، عندما تحداها كوبرنيكوس وطرح النظرية التى أثبتها علمياً جاليليو فى القرن السادس عشر عبر اختراعه التلسكوب.

فقد عاد «الشيخ» بندر الخيبرى إلى إنكار هذه الحقيقة العلمية مستخدماً مجادلات ساذجة لا علاقة لها بالدين ولا بالعلم، ومقدماً «أدلة» تنم عن جهل فائق مثل قوله إنه لو كانت الأرض تدور لاستحال وصول طائرة من الشارقة إلى الصين. وأطرف ما فى الأمر هو ثقته المفرطة البادية فى «فيديو» هزلى يظهر فيه جهله بحقائق علمية صارت شديدة البساطة مثل دوران الغلاف الجوى مع الأرض، والفرق بين سرعتى الأرض والطائرة، وأثر الجاذبية وغيرها.

ولا يعرف هذا «الشيخ» الثمن الذى دفعه علماء ومفكرون عظماء لفتح الطريق أمام العلم والعقل العلمى خلال الرحلة التى تم فيها اكتشاف ما ينكره الآن، حيث كان هناك عقل «دينى» آخر يحارب العلم سعياً للمحافظة على حصون التخلف التى تمترس وراءها. ومن هؤلاء جيوردانو برونو الذى حكمت محكمة تفتيش إيطالية بحرقه لاعتناقه نظرية دوران الأرض.

ولأن تخلف العقل «الدينى» المغلق الذى يجهل الدين مازال أعمق من تراجع العقل «الوطنى» المطلق الذى لا يعرف معنى الوطن، فقد أعاد «داعش» إنتاج محارق محاكم التفتيش الأوروبية عبر حرق الطيار الأردنى الكساسبة والتهديد بقتل أسرى أكراد لديه بالطريقة نفسها.